

يَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْمُحْتَرَمُونَ،

نَشْهَدُ كُلَّ يَوْمٍ تَقْرِيْبًا أَنَّهُ يُحْسِنُ إِلَيْنَا أَوْ إِلَى مَعَارِفِنَا أَوْ إِلَى زَوْجِنَا أَوْ صَدِيقِنَا. وَأَحْيَانًا يَحْصُلُ الْعَكْسُ فَتَعَرَّضُ لِلْسَّيِّئَةِ. وَلَكِنْ عَلَيْنَا أَنْ نَعْلَمَ أَنْ إِذَا وَاجَهْنَا سَيِّئَةً فَإِنَّا فِي امْتِحَانٍ مُهِمٍّ جَدًّا. لِأَنَّ رَدَّ فِعْلِنَا لِهَذِهِ السَّيِّئَةِ سَوْفَ يَأْتِي بِبَعْضِ النَّتَائِجِ. وَنُقْطَةُ الْبِدَايَةِ لِهَذَا الْاِمْتِحَانِ هُوَ فِي مُقَابَلَةِ السَّيِّئَةِ الَّتِي نُوَاجِهُهَا. هَلْ يَجِبُ أَنْ نُقَابِلَهَا بِمِثْلِهَا أَوْ نُقَابِلَهَا بِالْحَسَنَةِ. فَلَا شَكَّ أَنَّ أَحْسَنَ الرَّدِّ هُوَ الْمُقَابَلَةُ بِالْحَسَنَةِ.

يَا إِخْوَانِي الْأَعْرَاءُ،

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ فَاهُمْ رِسَالَةٌ تُوصِلُنَا إِلَيْهَا الْآيَةُ أَنَّهُ يَجِبُ رَدُّ السَّيِّئَةِ بِالْحَسَنَةِ. إِضَافَةً إِلَى ذَلِكَ نَتَعَلَّمُ مِنَ الْآيَةِ أَنَّ مُقَابَلَةَ السَّيِّئَةِ بِالْحَسَنَةِ قَدْ تَجَعَّلُ عَدُوْنَا وَلِيًّا لَنَا. فِي الْوَاقِعِ، حَيَاةُ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ مَلِيَّةٌ بِالْآفِ الْأَمْثَلَةِ مِنْ ذَلِكَ. وَمِنْهُ قِصَّةُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ الَّذِي انْطَلَقَ لِقَتْلِ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ أَصْبَحَ سَيِّدَنَا عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. كَانَ عُمَرُ شَدِيدًا وَغَاضِبًا وَمُعَادِيًا لِلنَّبِيِّ ﷺ وَلَكِنْ حِينَ رَأَى حَالَ النَّبِيِّ ﷺ وَحَالَ أَصْحَابِهِ، تَأَثَّرَ بِالْآيَاتِ الَّتِي سَمِعَهَا وَأَصْبَحَ الْوَلِيَّ الْأَقْرَبَ كَنَتِيْجَةَ جُهُودِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ الْحَكِيمَةِ.

يَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْكِرَامُ،

وَكَذَلِكَ سَيِّدُنَا يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِثْلُ جَمِيْلٍ لِكَيْ نَفْهَمَ هَذَا الْمَوْضُوعَ. تَعَرَّضَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلْسَّيِّئَاتِ أَثْنَاءَ حَيَاتِهِ بِدَايَةً مِنْ صِغَرِهِ. أُلْقِيَ فِي الْجُبِّ وَهُوَ صَبِيٌّ، وَبِيعَ فِي مِصْرَ كَعَبْدٍ، وَمَعَ أَنَّهُ ذُو أَخْلَاقٍ عَالِيَةٍ قُذِفَ بِإِفْتِرَاءٍ قَبِيْحٍ فَأُلْقِيَ فِي السِّجْنِ. وَلَكِنْ بَصْبِرِهِ عَلَى السَّيِّئَاتِ الَّتِي

وَاجَهَهَا فَازَ بِاسْتِقَامَتِهِ عَلَى الْإِحْسَانِ وَالْحِكْمَةِ فَجَعَلَ أَعْدَاءَهُ أَوْلِيَاءَ لَهُ بِفَضْلِ اللَّهِ، وَتَرَفَّقَى لِلْمُدِيرِ لَوَزَارَةِ الْاِقْتِصَادِ فِي الدَّوْلَةِ الَّتِي كَانَ يَعِيشُ فِيهَا. يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى فِي قِصَّةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿قَالُوا ءَأِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ﴾ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾

يَا إِخْوَانِي،

كَمَا ذَكَرْنَا فِي الْبِدَايَةِ، يُسَبِّبُ كَيْفِيَّةُ مُقَابَلَتِنَا لِلْسَّيِّئَةِ أَشْيَاءَ مُهِمَّةً. يُمَكِّنُ أَنْ تَحْدُثَ حَوَادِثُ قَبِيْحَةٌ جَدًّا إِذَا قَابَلْنَا السَّيِّئَةَ بِالْسَّيِّئَةِ. ذَلِكَ بِأَنَّ الصَّرَاعَاتِ وَالْمَحَارَبَاتِ وَدَعَاوِي الدَّمِ بَيْنَ الْقَبَائِلِ تَحْدُثُ بِمُقَابَلَةِ الْجَاهِلِيَّةِ السَّيِّئَةِ. وَلَا سِيَّمَا نَحْنُ مُسْلِمُو أُرُوبَا، يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَرُدَّ عَلَى مَا نُوَاجِهُهُ هُنَا مِنْ اِعْتِدَاءَاتِ عَلَيْنَا بِالْحِكْمَةِ. يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَوْصَافِنَا مُسْلِمِي أُرُوبَا أَنْ لَا نَسْكُتَ عَنِ الظُّلْمِ بَلْ نَتَحَرَّكَ بِالْحِكْمَةِ.

رُوي عَنْ حَدِيثَةٍ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَكُونُوا إِمَّةً تَقُولُونَ: "إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنًا وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا." وَلَكِنْ وَطِنُوا أَنْفُسَكُمْ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا تَظْلِمُوا» (رواه الترمذي)

وَقَالَ أَجْدَادُنَا: "مُقَابَلَةُ الْحَسَنَةِ بِالْحَسَنَةِ عَادَةٌ جَمِيعِ النَّاسِ، وَلَكِنْ مُقَابَلَةُ السَّيِّئَةِ بِالْحَسَنَةِ لَا يَقُومُ بِهَا إِلَّا رَجُلٌ رَشِيدٌ."